دكتور بهاء الأمير

القسطنطينية وآخر الزمان







٢٠٢٠م

السؤال

MIDO ODIM

د. بهاء، حياك الله وأهلاً بك من جديد في معترك السوشيال ميديا، بمناسبة هذا الموضوع الذي اجبت علي سؤال صاحبه، وهو موضوع نبوءة الرسول صلي الله عليه وسلم عن فتح القسطنطينية وأنها ستكون في آخر زمان هذه الدنيا، وقد فصلت تفصيلاً في إجاباتك التي تدهشني بمعرفتك بالتاريخ وقراءته من جميع زواياه، زاد الله من علمكم وبصيرتكم.

ولكن هناك إشكالية أيضاً في هذا الموضوع قد طرحها عمران حسين، وهي أن محمد الفاتح كان لابد عليه أن لا يقترب من أكبر كنيسة للروم وقتها حسب كلامه، وهي أيا صوفيا وتحويلها الي مسجد، لأن هذا كما يفهم هو، يراه غير صحيح من حيث مبادئ وتعاليم الاسلام، بل ويراها جريمة قد فعلها الخليفة محمد الفاتح، وأن هذه الفعلة وهذا الحدث أحد الأخطاء الفادحة لدولة الخلافة العثمانية، لأن الشيخ هداه الله يعتبر أن الخلافة العثمانية لها اخطاء فادحة في تاريخ الأمة، ولا يوجد متسع لذكرها هنا، ولكن سأرفق المحاضرة التي تحدث فيها عن هذا الموضوع بهذا الرابط:

https://youtu.be/TBgBhOuxneA

أنا صراحة أتفق مع عمران حسين في بعض المواضيع التي يطرحها ويتكلم عنها ولكن أظنه لم يوفق في هذا الطرح، أو قد يكون ليس ملماً بتاريخ المسلمين بشكل جيد.

أرجو منك يا دكتور أن يتوفر عندك الوقت لمتابعة هذه المحاضرة وتوضيح ما فيها من مشاكل في قراءة التاريخ، لأنني أحس بأن الرجل عمران حسين قد أخطأ أخطاء كارثية قد تغير وعي المستمع له في فهم مثل هذه المسائل.

الإجابة

دكتور بهاء الأمير

(١)

قلت في إجابة على سؤال سابق بخصوص الشيخ عمران حسين إن كل شيء لا دليل عليه خارج ذهن من يقول به ليمكن مناقشته وفهم وجه دلالته على ما يستدل به عليه لا يدخل في العلم، لأن العلم هو ما يقبل نقله عبر أدلته للآخرين، ويكون هو وأدلته قابلاً للمناقشة والقبول أو للتفنيد والنقد، وأن ما يسمى علم آخر الزمان يمتلئ بالتعسف في الاستدلال ولوي الشواهد والنصوص لمطابقتها بالوقائع، وتحوير الوقائع لتنطبق عليها الشواهد والنصوص، وأن ما يقوله الشيخ عمران حسين من تفسيرات لأخبار آخر الزمان مصدره ذهنه هو، ولا يوجد أي رابط بين هذه التفسيرات وبين ما يفسره بها، لا لغة ولا عقلاً ولا نقلاً، فالرابط الوحيد هو تأملاته هو دون سند من خارجه يقبل المناقشة والمراجعة.

(٢)

محاضرة الشيخ عمران حسين عن حديث فتح القسطنطينية نموذج مكتمل على لوي النصوص والتعسف في الاستنباط منها وإنطاقها بما ليس فيها، وعلى تحوير الأحداث والمغالطات التاريخية، من أجل الوصول إلى مطابقة هذه بتلك، وهي مطابقة لا وجود لها سوى في ذهنه، ولا دليل عليها من خارج تأملاته، لا من النصوص، ولا من الأحداث.

وهو مثل كل المولعين بالعيش في نبوءات آخر الزمان، ويكافحون من أجل تنزيلها على الأحداث والصراعات التي يشهدونها في اللحظة من الزمان التي يوجدون فيها، قام في محاضرته بتوليد سيناريو تخيلي للأحداث ضمَّنه الدول

والأحلاف والتوازنات التي في زمانه، وجعله تفسيراً لكيف ستفتح القسطنطينية، وقد اعتبر أن الزمان الذي يلقي فيه محاضرته، سنة ٢٠١٢م، هو آخر الزمان.

والتاريخ قد شهد في الماضي، وسوف يشهد في المستقبل، أحقاباً زمنية مختلفة، تحفل بدول وأحلاف وأحداث وصراعات لا تختلف في جوهرها عن زماننا، وكان يمكن لأي أحد عاش في حقبة من هذه الحقب ببعض التحوير أن يزعم أنها آخر الزمان ويطابقها بنبوءاته، مثل الحروب الصليبية، واجتياح المغول لبلاد الإسلام، والاستعمار الغربي.

وهنا ينبغي بيان عدة أمور، أولها أن الزمان في كل ما جاء من أحاديث آخر الزمان وما يتعلق به من نبوءات زمان نسبي وتقريبي، ولا يوجد في النصوص ما يحدد زماناً معيناً لأي منها، ولا حتى ما يجعلنا نعرف هل هي قريبة من بعثته عليه الصلاة والسلام وبينهما سنوات أو عشرات، أم بعيدة وبينهما مئات وآلاف.

وبعثته عليه الصلاة والسلام هي نفسها من علامات الساعة وآخر الزمان، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم والإمام أحمد، ونصه: "**بعثت أنا والساعة كهاتين**"، وقد مر عليها أكثر من ١٤٠٠ سنة دون أن تقوم الساعة.

والأمر الثاني أن كل ما في أحاديث آخر الزمان من نبوءات يدخل في باب الغيب، والغيب لا وسيلة لمعرفته سوى الوحي، ويجب الوقوف فيه عند حدود ما جاء به الوحي دون زيادة ولا تفريع، وتوليد خطط وبناء سيناريوهات خيالية من هذه النصوص والنبوءات يخرج من باب العلم والبحث والدراسة، ويدخل في باب تأليف الأفلام والمسلسلات.

والأمر الثالث هو الفرق بين منهج الشيخ عمران وأمثاله من المولعين بمطابقة النبوءات بالأحداث أو توليد سيناريوهات افتراضية منها، وبين منهج اليهود مع نبوءات الأنبياء في كتبهم، فاليهود يحولون النبوءات عبر التاريخ إلى خطط وسيناريوهات، ثم يكافحون ويتوارثون الكفاح من جيل إلى جيل من أجل تحويلها إلى

واقع ودفع الأحداث ومسار التاريخ نحوها، من خلال التسلل إلى الجيوش وكواليس السلطة واستيطانهم لأذهان الساسة، وبتعاضدهم على ذلك مع تفرقهم في أنحاء الأرض، وبتكوين الحركات السرية، وبالسعي للسيطرة على المال والاقتصاد، وعلى وسائل الإعلام والخطاب العام.

أما المولعون بنبوءات آخر الزمان، من طراز الشيخ عمران حسين، فإنهم يحولونها إلى خطط خيالية وسيناريوهات افتراضية، ثم يجلسون لسرد حكاياتهم المسلية والمثيرة عنها أمام جماهيرهم، في انتظار أن تتحقق النبوءات من تلقاء نفسها، وتحقق ما يعجز المسلمون عن فعله.

ولذا لا يشيع الكلام في النبوءات ومطابقتها بالأحداث ولا يزدهر فرسان حكاياتها ويكثر جماهيرهم سوى في أزمنة الضعف والعجز والتفكك وافتقاد القوة والقيادة، لتكون من وسال الهروب من التعامل مع الواقع والتحليق بعيداً عنه.

(٣)

من أجل مطابقة فتح القسطنطينية في حديث النبي عليه الصلاة والسلام بزمانه الذي يعيش فيه، حوَّل الشيخ عمران حسين النبوءة إلى خطة استراتيجية وعسكرية افتراضية تشبه سيناريوهات أفلام هوليوود، ولا دليل عليها ولا وجود لها سوى في خياله هو، عن أن الفتح سيكون من خلال جيش مسلم يخرج من المدينة ويغزو القسطنطينية التي هي الآن اسطنبول المسلمة، فتقاتله وتحاول إعاقته الروم التي فسرها بأنها دول حلف الناتو.

ويَعقب ذلك تحالف بين المسلمين فاتحي القسطنطينية/اسطنبول وبين روسيا، ثم تندلع حرب نووية تدمَر فيها القوى الجوية، وتنحصر الحرب في القوي البرية البحرية، فيبيح المسلمون للروس المتحالفين معهم عبور مضيق البسفور من البحر الأسود ودخول البحر المتوسط، ليشتركا معاً، الروس والمسلمون، في تدمير إسرائيل حليفة الناتو/الروم!!

ولكي يتوافق السيناريو الخيالي الذي رسمه الشيخ عمران حسين للأحداث مع حديث النبي عليه الصلاة والسلام عن فتح القسطنطينية وفاتحها، سأل سؤالاً يعلم أن من يستمعون له سوف يسألونه بالضرورة، وهو: كيف يفتح المسلمون القسطنطينية وهي مسلمة وأهلها مسلمون؟!

وللإجابة على السؤال، ولكي يعيد المدينة غير مسلمة فتصبح قابلة للفتح ودخول الإسلام، أسقط فتح القسطنطينية التاريخي ودخولها في الإسلام، والذي حدث فعلاً على يد السلطان محمد الفاتح رحمه الله، ودار دورة طويلة ملتوية حوَّلها بها إلى مدينة كافرة، وفي طريقه إلى ذلك، لوى نص الحديث، وأطاح بحقائق التاريخ، ووقع في أخطاء فادحة إن كان جاهلاً، أو هي مغالطات وتدخل في باب التزوير والتدليس إن كان عامداً.

(٤)

أول هذه الأخطاء والمغالطات أنه يقول في بداية محاضرته وقرب نهايتها إن أتاتورك والعلمانيين من حلفاء الغرب الذين استولوا على السلطة في اسطنبول بعد إسقاط الدولة العثمانية، هم الذين غيروا اسم القسطنطينية إلى اسطنبول، لكي يحجبوا الاسم الذي سماها به النبي عليه الصلاة والسلام، وهو يمهد بذلك لإخراج اسطنبول من الإسلام، وإعادة اسمها القديم إليها، بذريعة أنها صارت تابعة لأوروبا وأن السلطة العليا عليها للناتو ومن يتحالفون معه من حكامها العلمانيين، وأن الذي يحدد هويتها وهل هي مسلمة أم لا ليسوا أهلها من المسلمين بل من يسيطرون عليها ومن يتحالفون معهم.

والخطأ أو المغالطة التي تواكب لفه ودورانه من أجل تكفير اسطنبول لأن السيناريو الخيالي الذي رسمه لا محل له إلا إذا كانت كافرة، المغالطة هي أن الذي غيَّر اسم القسطنطينية ومحاه، هو السلطان محمد الفاتح، وليس أتاتورك، فالمدينة كان اسمها كونستانتينو بول Kōnstantinoúpolis، أي مدينة

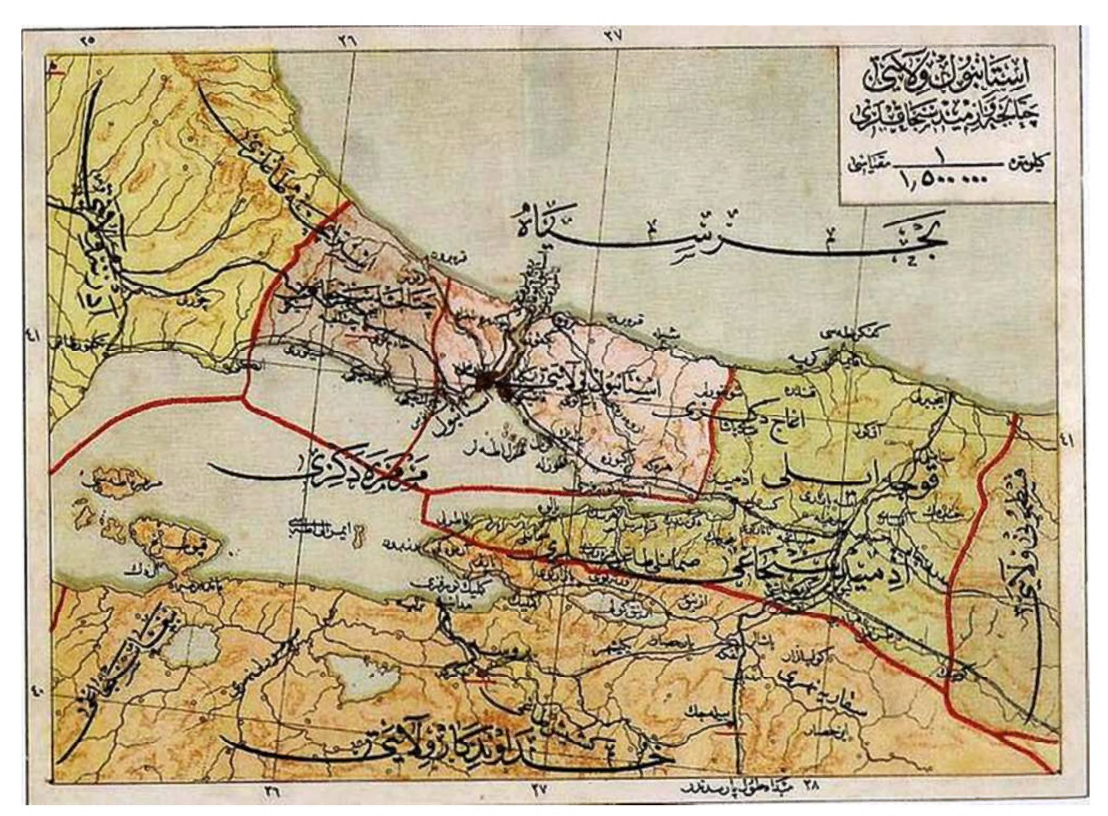
كونستانتين/قسطنطين، أو القسطنطينية، وحين فتحها الفاتح وأدخلها في الإسلام واتخذها عاصمة سنة ١٤٥٣م غير اسمها إلى إسلام بول، أي مدينة الإسلام.

ثم صار للمدينة مع الوقت عدة أسماء أخرى إلى جانب إسلام بول، منها الأستانة، أي العاصمة أو حرفياً مقر الدولة، واستانبول، أي مدينة البلاد أو حاضرة البلاد، وهو اسم شاع استخدامه خلال القرن التاسع عشر الميلادي في أواخر الدولة العثمانية.

وفي ٢٨ مارس سنة ١٩٣٠م، أصدر أتاتورك، ضمن سياساته لعلمنة تركيا، عدة قرارات، وكان أحدها إلغاء جميع الأسماء العثمانية للأستانة، وان يكون اسمها الرسمي والوحيد هو استانبول/اسطنبول.



عملة عثمانية مكتوب عليها أنها ضُربت في إسلام بول سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م، في عهد السلطان عبد الحميد الأول.



خريطة لولاية استانبول رسمت سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، قبل ظهور أتاتورك على مسرح الأحداث في تركيا.

وبقي في هذه المسألة أن حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي رواه الإمام الحاكم والإمام أحمد، ونصه :"**لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ**"، هذا الحديث لا يدخل في باب نبوءات آخر الزمان الغيبية التي لا شأن للبشر بها ولا دور لأمة الإسلام في حدوثها، مثل الدجال والدابة ونزول المسيح، بل كما هو جلي من نصه، يخبر فيه النبي عليه الصلاة والسلام أمته أنهم سيفتحون القسطنطينية، وفتح أي مدينة هو بلا خلاف فتحها الأول وإدخالها في الإسلام لأول مرة.

فالحديث يخبر ليس عن آخر الزمان، بل عن واقعة تاريخية، هي معركة، ومن يفتحون القسطنطينية من أمة الإسلام إبان هذه الواقعة والمعركة ويدخلونها في الإسلام لهم جيش وأمير على الجيش وعلى المدينة بعد فتحها.

والـذين يقولـون إن فـتح السـلطان محمـد الفـاتح للقسـطنطينية لـيس هـو المقصـود بحديث النبي عليه الصلاة والسلام، يحولون الحديث، عامدين أو غافلين، من إخبار عن فتح القسطنطينية وإدخالها في الإسـلام إلى نبوءة في تكفير اسطنبول وإخراجها من الإسلام!

(٥)

والمغالطـة الثانيـة، وهـي حزمـة مغالطـات ملفوفـة فـي بعضـها، وتـدخل فـي بـاب التزوير، أن الشيخ عمران حسين يقول في محاضرته إن الروم في عهد نزول القرآن كانت في القسطنطينية، ولكنها قبل نزولـه كانت في إيطاليا، وبنـاءً على ذلك يجعل ورثة الروم أو امتدادهم في أوروبا الغربية، ومن ثَم فإن فتح القسطنطينية وإدخالها في الإسلام هو استعادتها من الناتو الغربي، ضارباً عُرض الحائط بالعقائد وبالأجناس معا، فشعوب أوروبا الغربية ودولها ليست الروم، لا عقائديا ولا عرقيا، وعند نزول القرآن، وعندما قال النبي حديثه عن فتح القسطنطينية، ولقرنين من الزمان قبل نزول القرآن، كانت الروم في القسطنطينية، وليس في إيطاليا، وشعوب غرب أوروبا التي يقول إنها الروم لم تكن أصلاً مسيحية، بل وثنية!!

وتفصيل ذلك أن الإمبراطور الروماني قسطنطين نقل عاصمة الإمبراطورية سنة ٣٢٤م من نيكوميديا وسط الأناضول، ومكانها الحالي مدينة إزميت التركية، إلى بيزنطة وسمها باسمه: مدينة قسطنطين/القسطنطينية.

وبعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول Theodosius I، سنة ٣٩٥م، انقسمت الإمبراطوررية الرومانية بين ابنيه، فالإمبراطورية الغربية يحكمها الإمبراطور هونوريوس Honorius، وعاصمتها ميديولانوم، ومكانها الآن مدينة ميلان في إيطاليا، والإمبراطورية الشرقية، أو البيزنطية، يحكمها أركاديوس Arcadius، وعاصمتها القسطنطينية.

ثم تعرضت الإمبراطورية الغربية لغزوات متعددة من قبائل الهون والجرمان واللومبارد الوثنية، ففقدت معظم أراضيها في إيطاليا وما حولها، ثم انهارت سنة ٤٧٦م، ولم يعد لها وجود، بينما ظلت الإمبراطورية الشرقية البيزنطية مستقرة وقوية.

وعند نزول القرآن كان الجسم الرئيسي للروم، أو مركز الإمبراطورية البيزنطية، في الأناضول الآسيوية وفي اليونان والبلقان الأوروبية، وعاصمتها القسطنطينية، وكانت قد تمددت في الحوض الجنوبي للبحر المتوسط، وضمت إليها الشام وشمال إفريقيا، وفي القرآن نصاً: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، وأدنى الأرض هي منطقة البحر الميت وحوض نهر الأردن في الشام.

وبعد أن ظهر الإسلام أزالت دولة الخلفاء الراشدين الروم وإمبراطوريتهم من حوض البحر المتوسط الجنوبي، ثم توالت عليها ضربات دول الإسلام المتعاقبة على اختلافها، إلى أن أسقطها وفتح عاصمتها/القسطنطينية السلطان محمد الفاتح، بعد أن حكمت العالم نحو عشرة قرون أو ألف سنة.

وحين نزل القرآن وقبل نزوله كانت بلدان غرب أوروبا التي يقول الشيخ عمران حسين إنها الروم، تستوطنها وتتسلط عليها قبائل وشعوب وثنية، فألمانيا وأغلب أجزاء إيطاليا كانت تحت سيطرة قبائل الجرمان واللومبارد، وفي فرنسا وبلجيكا قبائل الفرانكا، وفي إسبانيا قبائل الفندال، وفي انجلترا قبائل الساكسون، وجميعها قبائل وثنية، ومن أعراق مختلفة عن الروم، وحين دخلوا في المسيحية بعد ذلك بقرون دخلوها على مذهب الكنيسة الكاثوليكية، وليس على مذهب الروم أو الإمبراطورية البيزنطية، وهو الأرثوذكسية.

وبعد أن أسقط السلطان محمد الفاتح إمبراطورية الروم، وفتح عاصمتها، فورثتها وامتدادها إثنياً وعرقياً، هي شعوب اليونان والبلقان في جنوب شرق أوروبا، وورثتها وامتدادها عقائدياً هم الأرثوذكس في هذه البلاد نفسها، بالإضافة إلى الأرثوذكس السلاف في روسيا، وليس شعوب غرب أوروبا، وهو عكس ما أنتجه اللف والدوران الذي لفه وداره الشيخ عمران حسين!!

ولذلك حين وضعت الدولة العثمانية تصنيفاً لرعاياها من الشعوب المختلفة، حسب أعراقهم ومللهم، من أجل تعداد النفوس، كانت تصنف المسيحيين في اليونان وبلدان جنوب شرق أوروبا التي كانت جزءًا من الإمبراطورية البيزنطية ثم صاروا تحت سلطتها ومن رعاياها على أنهم روم أرثوذكس، بينما كانت تصنف المسيحيين الذين قدموا من بلدان غرب أوروبا واستوطنوا في الدولة على أنهم لاتين كاثوليك، والروم الذين تحولوا إلى المسيحية الغربية بتأثير الإرساليات التبشيرية كانت تصنفهم على أنهم روم كاثوليك.

(٦)

الشيخ عمران حسين ينتقد في محاضرته تحويل السلطان محمد الفاتح كنيسة أيا صوفيا إلى جامع، ليس من باب أن ذلك اعتداء على مقدسات المسيحينن، بل كما قال هو نفسه، في الدقيقة الخامسة بعد المائة من محاضرته، لأن أحد عناصر السيناريو الافتراضي الذي تخيله لفتح القسطنطينية، أن قسماً من الروم، وهم الروس، سيتحالفون مع المسلمين ضد الروم الأخرى التي هي دول حلف الناتو ويشتركون معهم في تدمير إسرائيل، رغم أنه قبلها بدقائق نفى نصاً أن يكون المقصود بالروم الروس الأرثوذكس، ودار دورة واسعة ليجعل الناتو وأوروبا الغربية هي الروم!

والشيخ عمران حسين ينتقد تحويل أيا صوفيا إلى مسجد لأنه كان يجب على السلطان الفاتح في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، مراعاة أن الروم/روسيا ستحالف المسلمين من أجل تدمير إسرائيل في فيلم آخر الزمان الذي ألفه في القرن الحادي والعشرين!

ثم لكي يتمم الأجزاء الناقصة في الفيلم يريد تحويل أيا صوفيا إلى كنيسة مرة أخرى، وإعادتها للروم/الروس، من أجل أن تعود اسطنبول قسطنطينية، ولكي يكون ذلك ترضية لروسيا واعترافاً بجميلها وتحالفها مع فاتحي القسطنطينية في تدمير إسرائيل!

(٧)

بعد أن أسقط السلطان محمد الفاتح إمبراطورية الروم البيزنطية الألفية وفتح عاصمتها القسطنطينية وأدخلها في الإسلام، أصدر أوامره بتأمين أهلها من المسيحيين واليهود، وبفتحها أمام من يريد العودة منهم إليها بعد أن تركوها إبان الحصار الذي دام ثلاثة وخمسين يوماً.

وكان بطريرك القسطنطينية والكنيسة الأرثوذكسية الرومية يوستنيانوس الثاني Justinianus II قد توفي إبان الفتح، فوكل السلطان الفاتح إلى قساوسة الكنيسة ورهبانها انتخاب بطريرك جديد، فانتخبوا البابا جناديوس سكولاريوس Gennadius Scholarius، ورسمه السلطان محمد الفاتح بِنفسه في احتفال كبير، وسلَّمه عهد الأمن والأمان، وخصص له حرساً من الإنكشارية، ومنحهُ حق الولاية على الروم الأرثوذكس، وحق القضاء والفصل بينهم في القضايا المدنية والجنائية الخاصة بهم في القسطنطينية/إسلام بول، ومنح الحقوق نفسها لمن يختارهم البطريرك ومجلس الكنيسة من المطارنة والقساوسة في جميع ولايات الدولة العثمانية.

أما أيا صوفيا فقد حولها السلطان الفاتح رحمه الله إلى جامع، ليس من باب الاعتداء على كنائس الروم ومقدسات المسيحيين، بل لأنها رمز الإمبراطورية البيزنطية، وهذا التحويل علامة إسقاطها وإنهائها بعد أن دامت حاكمة للعالم ألف سنة.

دكتور بهاء الأمير

١٠ شعبان ١٤٤١هـ/٣ أبريل ٢٠٢٠م